وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا (الانعام:١٥٢)

فضائل الأعمال

ألفه

الإمام المحدث العلاّمة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي

دراسة علمية ونقدية

كتبه

الدكتور الشيخ أبو حفصة محمد عبد الله السلفي

[مكة المكرمة]

نقله إلى العربية

محمد فرمان الندوي

[أستاذ دارالعلوم لندوة العلماء لكناؤ، الهند]

ملتزم الطبع والنشر

الدكتور محمدخالد الصديقي

فاطمة درك استور، ميديكل كالج رود، علي كراه (الهند)

Mobile : 09811701095

الطبعة الأولىٰ

١٤٣٤هـ ٢٠١٣م

اسم الكتاب : فضائل الأعمال: دراسة علمية ونقدية

المؤلف : الدكتور الشيخ أبو حفصة محمد عبد الله السلفي

اسم المترجم : محمد فرمان الندوي

عدد الصفحات : ٦٤

الكاتب : عامر كمبيوترس، شباب ماركيت، لكناؤ (الهند)

اسم المطبعة : نيو ورك لائن بريس، لكناؤ

مركز التوزيع والنشر

فاطمة درك استور

ميديكل كالج رود، علي كراه (الهند)

09811701095

بين يدي الكتاب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فقد حظي بقبول حسن كتاب فضائل الأعمال (في جزئين) للإمام المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي (١٤٠٢هـ) بفضل الله وتوفيقه، لما ألفه بإخلاص النية وطهارة السريرة، بحيث يُدرس في لغات العالم كله، وقد نقل إلى عدة لغات، هذا الكتاب مجموعة عدة رسائل ألفت في مناسبات شتى، مثلاً حكايات الصحابة (صفر-شوال ١٣٥٧هـ) وفضائل التبليغ (صفر ١٣٥٠هـ) وفضائل القرآن (ذوالحجة ١٣٤٨هـ) وفضائل الصلاة (صفر ١٣٥٨هـ) وفضائل الذكر (شوال ١٣٥٨هـ) وفضائل الصدقات (شوال ١٣٦٦-١٣٦٨هـ) وغير ذلك.

إن شخصية الإمام المحدث المعروف بشيخ الحديث أجل من أن تذكر، وقد لقبها أشهر علماء الحديث الشيخ إرشاد الحق الأثري في شبه القارة الهندية:

"بقية السلف، حجة الخلف، الشيخ العلامة محمد زكريا

الكاندهلوي شيخ الحديث". [استعراض تساؤلات على الإمام البخاري: ٩٤].

حاولت في هذه الرسالة أن أرد على تساؤلات أثيرت ضد كتاب فضائل الأعمال، رداً وجيزاً، تتجلى منه المكانة العلمية للكتاب، ولاشك أن هذه التساؤلات تذاع وتنشر في عامة الناس في أسلوب "علمي" ينخدع بها البسطاء السذج من الناس.

نسأل الله التوفيق والسداد. وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

كتبه

أبو حفصة محمد عبد الله السلفي

(مكة المكرمة)

التساؤل الأول

ألّف الشيخ محمد زكريا كتاب فضائل الأعمال حينما كان عقله مصاباً بالضعف والفساد، كما يقول في مقدمة كتابه: فضائل الأعمال، رسالة قصص الصحابة: "قد انقطع عقلي عن العمل لأيام عديدة في صفر ١٣٥٧هـ، بمرض ألم بي، فخُيل إلي أن أشغل أيامي في هذا العمل الجليل". (قصص الصحابة: فضائل الأعمال ج ١/٧)

الجواب: أوّلاً: إن الناقد حاول أن يطلق هذه العبارة على فضائل الأعمال بكامله، بدجله وتلبيسه، رغم أن كتاب "قصص الصحابة" أُلِّف فقط في أيام المرض، كما يتجلى بالنظر في تواريخ تأليف هذا الكتاب.

ثانياً: قال الناقد: إن الشيخ قد فسد عقله، حينما ألّف هذا الكتاب، والعياذ بالله، لعل عقل الناقد نفسه فاسد، كان الشيخ رحمه الله صحيحاً من الدماغ والعقل، وكان عنده مرض آخر منعه الأطباء بالنسبة إليه من الأعمال الشاقة المضنية، إذاً، فما هو المرض؟ وهو كما قال الشيخ: مرض الرُعاف. (وانظر للتفصيل آب بيتي: ترجمة حياة الشيخ

المحدث بقلمه ج١/١٧٦، وتساؤلات على كتب الفضائل وأجوبتها ص: ٢٥).

نسأل الناقد أن أيّ مادة من مواد قصص الصحابة ينتقد عليها، وتضاد الكتاب والسنة، وإذا لم يكن كذلك، فاعترِف بولاية شيخنا ومرشدنا أنه ألف في حالة المرض كتاباً جيداً، فإن كان معافى في بدنه، سليما من الأمراض فكم كان الإتقان في التأليف والتصنيف؟ والحمد لله علىٰ ذلك.

التساؤل الثاني

"إن فضائل الأعمال مجموعة الأحاديث الضعيفة، ولا يجوز ذكر مثل هذه الأحاديث والعمل بها".

الجواب: يعتبر هذا التساؤل علمياً بحتاً، رغم أنه خلاف القواعد والأصول المقررة لدى المحدثين، ودليل على جهالة الناقد، لأن المحدثين اتفقوا على أن الأحاديث الضعيفة في باب الفضائل مقبولة ومعتبرة، بل تكون معتبرة في المتابعات والشواهد غير الفضائل كما قال الإمام النووي:

"وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، لأنه إن كان صحيحاً في نفس الأمر فقد أعطى حقه، وإلّا لم يترتب على العمل به مفسدة تحليل ولاتحريم وضياع حق الغير".

وقال في الأذكار:

"[فصل] : اعلم أنه ينبغي لمن بلغه شيئ في فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرة واحدة، ليكون من أهله، ولاينبغي أن يتركه مطلقا، بل يأتي بما تيسر منه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته: "إذا أمرتكم بشيئ فأتوا منه ما

استطعتم".

[فصل] : قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم : يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا.

وأما الأحكام كالحلال والحرام والبيع والنكاح والطلاق وغير ذلك فلا يعمل فيها إلا بالحديث الصحيح أو الحسن إلا أن يكون في احتياط في شيئ من ذلك، كما إذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع أو الأنكحة، فإن المستحب أن يتنزه عنه، ولكن لايجب". (راجع مقدمة الأربعين النووية والأذكار: ٧)

وقد ذكر العلماء الموثوق بهم الآتي ذكرهم الأحاديث الضعيفة أيضاً: الإمام السيوطي (تدريب الراوي ج١/٢٩٨) الملاعلي القاري (الموضوعات الكبرى ص: ٥، المرقاة ج ٢/٣٨١، فتح باب العناية ج١/ص٤٩ وغيرها). والعلامة الخطيب البغدادي (الكفاية في علم الرواية ص: ١٣٣) والإمام الحاكم النيسابوري (المدخل إلى كتاب الإكليل ص:٢٩) والمستدرك على الصحيحين للحاكم ج١/ص:٤٩٠) والإمام ابن أبي حاتم (مقدمة الجرح والتعديل ج:٢/٣٠) . والعلامة العراقي (شرح الألفية ج٢/٢٩١) والإمام ابن رجب الحنبلي (شرح علل الترمذي ج١/٧٢-٧٤) وشيخ الإسلام ابن تيمية. مجموع الفتاوى ج١/٦٥-٦٨) وج١٨/٦٥-٦٧، والاختيارات العلمية ص:١٠٠) الإمام أحمد بن حنبل (الكفاية للخطيب البغدادي

ص:١٣٣) و ذم الكلام للهروي ج٢/١٧٩،) وشرح الكوكب المنير لابن نجار الحنبلي ج٢/٥٧٣) والإمام الأوزاعي (سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ج٧/١١٤)، والإمام الشافعي، (وفتح المغيث للحافظ السخاوي ج١/٢٧٠) و(إعلام الموقعين للإمام ابن القيم ج١/ص ٣١-٣٢) والإمام أبو حنيفة، المحلى لابن حزم ج٣/١٦١، والإمام ابن الهمام (فتح القدير ج٢/١٣٩) والإمام يحيى بن معين، فتح المغيث للحافظ السخاوي ج١/٤٩٧) (الكامل لابن عدي ج١/٦٦٦) والإمام البيهقي (المدخل الصغير ص:٣٧) الإمام ابن عبد البر (جامع بيان العلم وفضله ج١/٢٢) والحافظ ابن الصلاح (علوم الحديث: ٩٣) والإمام السخاوي (فتح المغيث ص: ١٢٠) والإمام ابن حجر الهيثمي (الفتح المبين ص٣٢) والإمام ابن قدامة (المغني ج١/١٠٤٤) والعلامة الشوكاني (نيل الأوطار ج٣/٦٨) وغيرهم.

وما عدا من العلماء كان موقفهم عن الأحاديث الضعيفة أنها كانت مقبولة لديهم، مثلاً توجد الأحاديث الضعيفة في بعض مصنفات الإمام البخاري رحمه الله تعالىٰ، انظر كتابه خلق أفعال العباد في العقائد لا في الفضائل، والأدب المفرد، والتاريخ الكبير وجزء رفع اليدين، وجزء القراءة خلف الإمام (وهذان المؤلفان في علم الأحكام)، وكذلك كتب أخرى حافلة بالأحاديث الضعيفة مثل كتاب الصحيح لابن حبان، وكتاب الصحيح لابن خزيمة، وجامع الترمذي للإمام الترمذي، والمستدرك للإمام الحاكم، والموطأ للإمام

مالك، وكتاب التمييز للإمام مسلم، وكتاب الأسماء والصفات للإمام البيهقي، والمنتقى والكلم الطيب للإمام ابن تيمية، وبلوغ المرام من أدلة الأحكام للإمام ابن حجر العسقلاني، ومدارج السالكين للإمام ابن قيم الجوزية والكبائر للذهبي، وسنن الدار قطني للإمام الدار قطني، وكتاب السنة للحافظ أبي بكر الشيباني، وكتاب السنة للإمام أبي عبد الرحمٰن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل وغيرها.

وقد أشار الإمام المحدث الشيخ محمد زكريا إلى هذه القاعدة، فقال: "ويجب الإشارة في الختام إلى أن التوسع في أحاديث الترغيب والترهيب والفضائل جائز عند المحدثين رضي الله عنهم، وهم تسامحوا ببعض الضعف في الرواية إذا لم يتجاوز الحد". (فضائل الصلاة ص:١٠٣).

فعلى الناقد أن ينتقد العلماء الأجلة الذين مضوا من قبل، أمّا شيخنا فهو في القرن العشرين الميلادي، وهم قد جمعوا ودونوا في كتبهم ومؤلفاتهم الأحاديث الضعيفة من قبل، حتى إن بعضاً منهم لم يشر إلى أن كتبهم توجد فيها الأحاديث الضعيفة، رغم أن بعض الكتب جاء فيها التصريح بذكر الأحاديث الصحاح فقط.

التساؤل الثالث

توجد في فضائل الأعمال كثير من الأحاديث التي لم تذكر فيها المراجع والمصادر، وذكر الأحاديث بدون مرجع عبث.

الجواب: لعل الناقد لم يدرس كتاب فضائل الأعمال بدقة، وإمعان، لأن الشيخ المحدث رحمه الله قد ذكر في فضائل القرآن (أول الرسائل المؤلفة في هذا الباب):

"ومما لابد من التنبيه عليه أني اعتمدت في التخريج على المشكاة، وتخريجه، وشرحه المرقاة، وشرح الإحياء للسيد محمد المرتضى، والترغيب للمنذري، وما عزوت إليها لكثرة الأخذ عنها، وما أخذت عن غيرها عزوت إلى مأخذه." (فضائل القرآن ص:٧)

فعلى الناقد أن يدرس ويطالع الكتاب بكامله، وإذا لم يجد مرجعاً وأصلاً لحديث فليراجع هذه الكتب الخمسة، وإذا لم يجد فترجع تبعته ومسؤليته على الشيخ المحدث رحمه الله.

أما قول الناقد: "ذكر الأحاديث بدون مرجع عبث" قول ضائع، لأن الحديث إذا علم كونه حديثاً فالإنكار عليه أنه لم يذكر له مرجع اعتداء وظلم عظيم. أعاذنا الله تعالى من كل مكروه، آمين.

التساؤل الرابع

في كتاب فضائل الأعمال توجد بعض القصص، وهي من المستحيلات، وهي تشبه الشرك، فتفسد بها عقائد الناس، لماذا ننشر الدين اعتماداً على الخرافات والروايات القصصية؟

الجواب: أولاً: وليعلم الناقد أن المستحيلات إذا ظهرت على أيدي الأنبياء فهي معجزة وآية من آيات الله، وإذا ظهرت على أيدي الأولياء فهي ولاية وكرامة، وهذه المستحيلات تكون صعبةً للإنسان، لا لله تعالىٰ، لأن الإنسان لايستطيع أن ينجزها، وإذا أراد الله شيئاً وقع، وإذا لم يرد ولم يشأ وإن حاول الإنسان محاولات جادةً مااستطاع، فعلى الناقد أن يدرس ويطالع هذا الكتاب بعقول المسلمين لا النصارى.

ثانياً: وليخبرالناقد بجدية وإتقان بأن هذه القاعدة تُطلق على جميع الكتب أم على كتاب فضائل الأعمال فقط للنقد والجرح. أي إذا قدمت أمامه قصص عجيبة وغريبة من هذا النوع من مؤلفات علماء موثوق بهم، فهل ينتقد عليهم أيضاً، ويجعلهم معتقدين عقائد الحلول والاتحاد.

اقرأ على سبيل المثال عدة قصص من كتب معتمدة:

١ ـ قصة خير النساج رحمه اللّٰه مشهورة، حيث قال عند الموت: اصبر عافاك اللّٰه، فإن ما أمرت به لا يفوت، وما أمرت به يفوت ثم استدعى بماء، فتوضأ وصلى، ثم قال: امض لما أمرت به ومات.

فهل ينتقد أحد أنه تترشح منها عقيدة بأن المشايخ وأولياء اللّٰه يطلعون على أوقات الموت، ويدفعون، ويأمرون الملائكة كيف شاءوا، لعلّ أحداً ينتقد بالنظر إلى كتاب فضائل الأعمال، لكن العجب كل العجب أن هذه القصة قد نقلت من كتاب الروح للإمام ابن قيم الجوزية [ص: ٨٢]، فلا نقد عليها في هذا الكتاب، لماذا ؟

٢ ـ اقرؤا قصة أخرى من هذا الكتاب:

وقال محمد بن عبد اللّٰه المهلبي: رأيت في المنام كأني في رحبة بني فلان، وإذا النبي صلى اللّٰه عليه وسلم جالس على أكمة ومعه أبو بكر، وعمر واقف قدامه، فقال له عمر: يا رسول اللّٰه ! إن هذا يشتمني ويشتم أبا بكر، فقال: جئ به يا أبا حفص! فأتي برجل فإذا هو العماني وكان مشهوراً بسبهما، فقال له النبي: أضجعه، فأضجعه ثم قال: اذبحه، فذبحه قال: فما نبهني إلّا صياحه، فقلت: مالي لا أخبره عسى أن يتوب، فلما تقربت من منزله سمعت بكاءً شديدا فقلت: ما هذا البكاء: فقالوا: العماني ذبح البارحة على سريره قال: فدنوت من عنقه فإذا من أذنه إلى أذنه طريقة حمراء كالدم المحصور. (٢٢٥)

لو كانت هذه القصة في فضائل الأعمال لكانت سهام الكفر

والشرك إلى مؤلفه، لكن ذكرها الإمام ابن قيم الجوزية فلا نقد ولا اعتراض عليه، والسبب أن ابن القيم رحمه الله عنه قد نقلها ؟

٣ـ عن أنس قال: دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض ثقيل فلم نبرح حتى قضى، فبسطنا عليه ثوبه وأم له عجوز كبيرة عند رأسه فالتفت إليها بعضنا فقال: يا هذه! احتسبي مصيبتك عند الله عز وجل قالت: وما ذاك أمات ابني قلنا: نعم قالت أحق ما تقولون قلنا: نعم قالت أحق ما تقولون قلنا: نعم فمدت يدها إلى الله فقالت: اللّهم إنك تعلم إني أسلمت وهاجرت إلى رسولك ﷺ رجاء أن تعينني عند كل شدة ورخاء فلا تحملني هذه المصيبة اليوم قال: فكشف عن وجهه فما برحنا حتى طعمنا معه. (صفة الصفوة لابن الجوزي،ص:٣١٢، رقم القصة ١٥٣)

٤ـ عن محمد بن أحمد بن المهدي قال: سمعت علي بن الموفق ما لا أحصيه يقول: خرجت يوماً لأؤذن فأصبحت قرطاساً فأخذته ووضعته في كمي وأقمت وصليت فلما صليت قرأته فإذا فيه مكتوب:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، يا علي ! يا ابن الموفق: تخاف الفقر وأنا ربك. (طبقات الحنابلة ج١/٢٣١)

٥ـ وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء، فكادت تموت من العطش، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة، وسمعت حسا على رأسها، فرفعته فإذا دلو معلق، فشربت منه حتى رويت، وما عطست بقية عمرها. (الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان: ١٦٠)

٦ـ قال سعيد بن منصور: سمعت مالكا يقول: قراءة أهل

المدينة سنة. قيل له: قراءة نافع ؟ قال: نعم. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي: أي القراءة أحب إليك ؟ قال: قراءة أهل المدينة، فإن لم يكن، فقراءة عاصم. وقال مالك: نافع إمام الناس في القراءة، وروى أبو خليد الدمشقي واسمه عتبة عن الليث بن سعد أنه قدم المدينة سنة عشر، فوجد نافعاً إمام الناس في القراءة لا ينازع.

قلت: المحفوظ عن الليث أنه قال: في سنة ثلاث عشرة، قال ابن وهب وغيره عنه، وقال أحمد بن هلال المصري: قال لي الشيباني: قال لي رجل ممن قرأ على نافع: إن نافعا كان إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك. فقلت له: يا أبا عبد الله أو يا أبا أتتطيب كلما قعدت تقرئ ؟ قال: ما أمس طيبا ولكني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم. وهو يقرأ في في، فمن ذلك الوقت أشم من في هذه الرائحة. (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ج١/٦٤)

٧ـ وذكر ابن الجوزي أن الشريف أبا جعفر بن أبي موسى لما دفن إلى جانب قبر الإمام أحمد بعد موت الإمام أحمد بمائة سنة رئي كفن الإمام أحمد وهو يتقعقع. (أهوال القبور)

٨ـ وفي الترمذي في سياق الحديث المرفوع في قصة أصحاب الأخدود أن ذلك الغلام الذي قتله الملك وآمن الناس كلهم وقالوا: آمنا برب الغلام وجد في زمان عمر بن الخطاب ويده على جرحه كهيئته حين مات .

٩ـ وحكى الشيخ عبد الغفار في التوحيد قال أخبرني

القاضي بهاء الدين الصاحب شرف الدين الغاثري أن الشيخ أمين الدين جبريل مات معهم في الطريق قبل دخول القاهرة قال: فلما وصلنا عند الباب وهم يمنعون الميت أن يدخل المدينة رفع الشيخ أصبعه ويده فدخلنا. (شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور)

وفي الرسالة للقشيري بسنده عن الشيخ أبي سعيد الخراز قال: كنت بمكة فرأيت بباب بني شيبة شاباً ميتاً فلما نظرت إليه تبسم في وجهي وقال لي: أبا سعيد! أما علمت أن الأحباء أحياء، وإن ماتوا وإنما ينقلون من دار إلى دار.

وفيها عن الشيخ أبي علي الروذباري أنه ألحد فقيراً فلما فتح رأس كفنه ووضعه على التراب ليرحم الله غربته قال ففتح لي عينيه وقال لي يا أبا علي! لما تذللني بين من يدللني فقلت: يا سيدي أحياة بعد الموت؟ فقال لي: بل أنا حي وكل محب لله حي لأنصرنك بجاهي غدا. (شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور:٣٩٣).

قال العالم السلفي الشيخ عبد المجيد السوهدروي عن كبير علماء أهل الحديث غلام رسول:

مرة كان حلاق يحلق رأسهٗ في قلعة ميان سنغ فشكا إليه: سيدي! إنّ ابني قد ذهب للتجارة إلى دولة أخرى، لاندري أ هو حيّ أم ميت؟ وليس لي إلّا ابن واحد، وضاقت علينا الأرض بما رحبت بهمه وغمه، سكت الشيخ قليلاً، ثم قال: إن ابنك جالس في بيتك، ويأكل الخبز، اذهب إليه، فذهب الحلاق إلى بيته فوجد ابنه حقاً، لما

سأله عن غيبوبته، فقال: كنت الآن في السند، لكن لا أدري كيف وصلت إلى هنا في طرفة أعين. [كرامات أهل حديث ١٢-١٣]

للعاقل تكفي الإشارة، وإلّا فلو ألِّف الكتاب فلا طائل فيه للجاحد والمنكر.

وليس لأحد أن يقول: إن أمثال هذه الكتب القديمة لاتقرأ ولاتطبع، لأنها مطبوعة جميعاً، وموجودة في مكتبات المملكة العربية السعودية ماعدا كتاب "كرامات أهل الحديث".

ومن الملحوظ أننا ما قدمنا هذه القصص كالدليل، ولانريد أن يؤمن الناقد بها، إن هدفنا أن الناقد لو كان متديناً وصادقاً في كلامه، لانتقد على فضائل الأعمال، وتكلم عن هذه القصص ومؤلفيها، لكن لايمكن هذا.

أضف إلى ذلك أن هذه القصص لم يخترعها الإمام المحدث، بل نقل للترغيب والعبرة، كما كان السلف والخلف من العلماء يعملون به، فعلى الناقد أن ينتقد على هذه الكتب أوّلاً، ويعلم أن الشيخ قد أغلق باب فساد العقائد، فقال:

"لكن إذا لم يكن هناك الحب والعشق في القلب فليس الأحسن أن يستدل بهذه القصص، ولايعترض عليها. [فضائل الحج ص: ٢٢٤-٢٢٥]

وليعلم أيضاً أن هذه القصص لايستدل بها للأعمال فضلاً عن العقائد، وكما هو المعروف أن في باب العقائد لا تعتبر

الأحاديث الضعيفة مقبولةً، فأنّى هذه القصص؟ وقد أشار إلى ذلك مؤلف فضائل الأعمال: "ويجب الإشارة في الختام إلى أن التوسع في أحاديث الترغيب والترهيب والفضائل جائز عند المحدثين رضي الله عنهم، وهم تسامحوا ببعض الضعف في الرواية إذا لم يتجاوز الحد". (فضائل الصلاة ص:١٠٣).

أمّا استنباط العقائد الشركية من هذه القصص فأكّد العلامة المحدث على نشر التوحيد، ونقل أحاديث كثيرةً، فذكر الآيات القرآنية في بيان التوكل والاعتماد على الله والثقة الكاملة به: "وقد ورد في القرآن الإكثار من الاعتماد على الله والالتجاء إليه في النوائب والمصائب والتمسك بعتبة بيته بحيث لم تذكر المعاني الأخرى بهذاالقدر". (فضائل الصدقات، جزء ٢/٣٠٧)

ثم شرح الإمام المحدث حقيقة التوحيد والتوكل على الله مدعما بـ ٤١ آية قرآنية على سبيل المثال:

"لابد من التأمل والتفكر في هذه الآيات وليكن جل مساعينا في بيان قدسية الله تعالى والتوكل عليه والسؤال منه وطلب الحاجة إليه ولا يخطر ببال الإنسان طلب الحاجة من الآخر، وليكن التكلان على الله تعالىٰ، وإليه يرجع النفع والضرر". (فضائل الصدقات، ج٢/ص:٣١٤-٣١٥)

إن الإمام المحدث لم يذكر هذه القصص لإثبات العقيدة ولا يستفيد منها قراء فضائل الأعمال في باب العقائد، فعلى الناقد أن

يتقي الله تعالىٰ وليكن بعيدا من إلصاق التهم والافتراء الباطل. وقد ذكر الإمام المحدث ضمن هذه القصص أن ابن أمير الحاج يقول في كتابه المدخل: لا بد من الاجتناب كل الاجتناب من الأمور التي تذهب بطمأنينة القلب وراحة الداخل سواء كان في المنام أو فى اليقظة. (فضائل الأعمال،ص:١٤٣)

ونقل عن الإمام النووي في كتابه تهذيب الأسماء والصفات: فإذا سمع مثل ذلك في المنام فلا يجوز العمل به.

بعد هذه الإيضاحات اذا انتقد الناقد على هذا الكتاب بأنه تنتشر منه العقائد الشركية فكم كان دليلاً لجهله وغباوته. وقانا الله من كل فتنة ومكروه.

التساؤل الخامس

ورد في كتاب فضائل الأعمال أن بعض الصحابة مثل عبد الله بن الزبير ومالك بن سنان رضي الله عنهما كانا يشربان دم النبي ﷺ (فضائل الأعمال: ج١/١٨٨)، رغم أن الدم نجس، وكتب الشيخ محمد زكريا أن بول وغائط النبي ﷺ طاهران، فكيف يمكن هذا ؟ لايقول أحد من العلماء عنه شيئاً.

الجواب: أولاً: نتأمل أن هذه القصة أي شرب دم النبي ﷺ معتبرة أم لا ؟ قد ذكر كثير من العلماء قصة شرب عبد الله بن الزبير دم النبي ﷺ في كتبهم.

الإمام الحاكم (المستدرك ج٣/٥٥٣) الإمام البيهقي (السنن الكبرى ج٧/٦٧) الإمام ابن حجر (الإصابة ج٢/٣١٠) الإمام الذهبي (سير أعلام النبلاء ج٣/٣٦٦) والإمام نور الدين الهيثمي (مجمع الزوائد ج٨/٢٧٠) الإمام السيوطي (الخصائص الكبرىٰ ج٢/٢٥٢) وغير ذلك. وقال الحافظ نور الدين الهيثمي بعد ذكر هذه القصة : رواه الطبراني والبزار، ورجال الصحيح غير هنيد بن القاسم، وهو ثقة حافظ.

وقال البيهقي: وروي ذلك من أوجه أخرى عن أسماء بنت أبي بكر، وعن الفارسي في شرب ابن الزبير دمه.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء:

أما القصة الأخرىٰ فهي لمالك بن سنان، وقد رواها الإمام ابن حجر العسقلاني في الإصابة نقلاً من ابن أبي عاصم، والبغوي، وصحيح ابن السكن وسنن سعيد بن منصور. [الإصابة ج٣/٢٣٥]، وذكرها ابن عبد البر في الاستيعاب ج٣/ ٣٧٠ والشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي في كتابه مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ص:٤٠٢.

فلا نستطيع أن نرفض كلتا الروايتين، رغم أن العلمّاء الكبار قد ذكروها في كتبهم.

أمّا طهارة البول والبراز لمحمد صلى الله عليه وسلم فلايعرف الناقد أن العلماء المذكورة أسماؤهم قد قرروا طهارتها:

١ ـ الإمام ابن حجر العسقلاني [فتح الباري ج١/٢٧٢] والعلامة بدرالدين العيني [عمدة القاري ج١/٣٥] والإمام النووي [شرح المهذب ج١/٢٣٤] والملاّ علي القاري [جمع الوسائل ج٢/٢] والإمام السيوطي [الخصائص الكبرىٰ ج١/٧١] والعلامة ابن عابدين الشامي [الفتاوىٰ الشامية ج١/٣١٨].

لا قيمة لآرائنا تجاه الأقوال المتفق عليها من أئمة العلم والحفاظ الكبار وآثار الصحابة حتى الأحاديث المباركة، فعلينا أن نثق بها، هذا من مقتضيات العلم والدين.

التساؤل السادس

في فضائل الأعمال حديث موضوع (رقم الصفحة ٤٩٧)، ذكر فيه أن سيدنا آدم توسل بالنبي محمد ﷺ. ولاشك أن التوسل شرك بالإجماع، وهو مضاد للقرآن، لأن القرآن يقول: فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه.

الجواب: لانسلم أن هذا الحديث موضوع، ولانشك في ضعفه، بل اعتبره بعض العلماء حسناً وصحيحاً، فذكره العلماء الآتي ذكرهم في مؤلفاتهم:

الإمام الحاكم (المستدرك ج٢/٦١٥) والإمام الطبراني (الجامع الصغير ج٢/٨٢) والجامع الأوسط ص٣٥١٨) والإمام البيهقي (دلائل النبوة ج٥/٤٨٨) والعلامة العسقلاني (المواهب اللدنية ج٢/٥١٥) والإمام الهيثمي (مجمع الزوائد ج٨/٢٥٣) وغير هؤلاء من العلماء: ابن عساكر (الدرر) والعلامة السبكي (شفاء السقام) والحافظ ابن الجوزي (الوفاء في سيرة المصطفى).

زد على ذلك أن الشيخ الإمام لم يذكر هذا الحديث في دليل التوسل، بل لبيان فضيلة الكلمة الطيبة كما يتجلى من شرح هذا الحديث، وكما ذكر أن الأحاديث الضعيفة معتبرة في الفضائل.

ثانياً: نتعجب من قول الناقد: "فيه ذكر الوسيلة، والتوسل شرك بالإجماع" كيف يقول بكل جراءة ووقاحة، نرى من المناسب أن نلقي الضوء على قضية التوسل.

هناك عدة أقسام للتوسل، لايوجد في الدنيا أحد سوى الناقد من يقول: الوسيلة المطلقة شرك، والحقيقة أن بعض الوسائل شرك، وبعضها مباحة وجائزة بالإجماع، وقد اختلف العلماء في بعضها، وبعضهم لايجيزون خوفاً من الشرك، وبعضهم يجيزون لكن بشرط صحة العقائد:

١ ـ التوسل بالعمل الصالح. هذا مباح بالإجماع. ودليله حديث الغار [صحيح البخاري ج٢/٨٨٣، وصحيح مسلم ج٢/٣٥٢].

٢ ـ التوسل بالرجل الحي في الدنيا، وهذا أيضاً مباح بالإجماع، ودليله أن سيدنا عمر رضي الله عنه توسل بالعباس بن عبد المطلب [صحيح البخاري ج١/١٣٧] كذلك توسل معاوية رضي الله عنه بيزيد بن الأسود الجرشي. [زيارة القبور والاستنجاد بالقبور للإمام ابن تيمية ص:١١٣، والبداية والنهاية للإمام ابن كثير ج٨/٣٢٤].

٣ ـ التوسل بالرجل الذي ليس بحي في الدنيا، فكما قال العلامة تاج الدين السبكي: لم يرفضه إلّا ابن تيمية [شفاء السقام ص:١٢٠، والفتاوى الشامية ج٥/٣٥٠، وتفسير روح المعاني ج٦/١٢٦]، لكن ابن تيمية يُقرّ من بعض النواحي بهذه الوسيلة كما يقول في كتابه "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة" برقم الصفحة: ٥٦.

"نعم! لو سأل الله بإيمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم ومحبته له وطاعته له واتباعه له، لكان قد سأله بسبب عظيم يقتضي إجابة الدعاء، بل هذا أعظم الأسباب والوسائل".

قال العلماء في فتاوى اللجنة الدائمة:

"من توسل إلى الله في دعائه بجاه النبي ﷺ أو حرمته أو بركته أو بجاه غيره من الصالحين أو حرمته أو بركته فقال: (اللهم بجاه نبيك أو حرمته أو بركته أعطني مالا وولدا أو أدخلني الجنة وقني عذاب النار) مثلا فليس بمشرك شركا يخرج عن الإسلام، لكنه ممنوع سداً لذريعة الشرك، وإبعاداً للمسلم من فعل شئ يفضي إلى الشرك، ولا شك أن التوسل بجاه الأنبياء والصالحين وسيلة من وسائل الشرك التي تفضي إليه على مر الأيام، كما دلت عليه التجارب وشهد له الواقع، وقد جاءت أدلة كثيرة في الكتاب والسنة تدل دلالة قاطعة على أن سد الذرائع إلى الشرك والمحرمات من مقاصد الشريعة، من ذلك قوله تعالى: [ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون].

والتوسل إلى الله بأوليائه أنواع:

الأول: أن يطلب إنسان من الولي الحي أن يدعو الله له بسعة رزق أو شفاء من مرض أو هداية وتوفيق ونحو ذلك - فهذا جائز، ومنه طلب بعض الصحابة من النبي ﷺ حيمنا تأخر عنهم المطر أن

يستسقي لهم، فسأل ﷺ ربه أن ينزل المطر، فاستجاب دعاءه وأنزل عليهم المطر، ومنه استسقاء الصحابة بالعباس في خلافة عمر رضي الله عنهم وطلبهم منه أن يدعو الله بنزول المطر فدعا العباس ربه وأمن الصحابة على دعائه ..... إلى غير هذا مما حصل زمن النبي ﷺ وبعده من طلب مسلم من أخيه المسلم أن يدعو له ربه لجلب نفع أو كشف ضر.

الثاني: أن ينادي الله متوسلا إليه بحب نبيه وأتباعه إياه وبحبه لأولياء الله بأن يقول: اللهم أني أسألك بحبي لنبيك واتباعي له وبحبي لأوليائك أن تعطيني كذا - فهذا جائز؛ لأنه توسل من العبد إلى ربه بعلمه الصالح، ومن هذا ما ثبت من توسل أصحاب الغار الثلاثة بأعمالهم الصالحة.

الثالث: أن يسأل الله بجاه أنبيائه أو ولي من أوليائه بأن يقول: (اللهم إني أسألك بجاه نبيك أو بجاه الحسين) مثلا - فهذا لا يجوز؛ لأن جاه أولياء الله وإن كان عظيماً عند الله وخاصة حبيبنا محمد ﷺ غير أنه ليس سبباً شرعياً و لا عادياً لاستجابة الدعاء؛ ولهذا عدل الصحابة حينما أجدبوا عن التوسل بجاهه ﷺ في دعاء الاستسقاء إلى التوسل بدعاء عمه العباس مع أن جاهه عليه الصلاة والسلام فوق كل جاه، ولم يعرف عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم توسلوا به صلى الله عليه وسلم وفاته وهم خير القرون وأعرف الناس بحقه وأحبهم له.

الرابع: أن يسأل العبد ربه حاجته مقسماً بوليه أو نبيه أو بحق

نبيه أو أوليائه بأن يقول: (اللهم إني أسألك كذا بوليك فلان أو بحق نبيك فلان)، فهذا لا يجوز، فإن القسم بالمخلوق على المخلوق ممنوع، وهو على الله الخالق أشد منعاً؛ ثم لا حق لمخلوق على الخالق بمجرد طاعته له سبحانه حتى يقسم به على الله أو يتوسل به. هذا هو الذي تشهد له الأدلة، وهو الذي تصان به العقيدة الإسلامية وتسد به ذرائع الشرك.

و با لله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم. (فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى جزء ٢٦)

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

قولهم في الاستسقاء: لا بأس بالتوسل بالصالحين، وقول أحمد: يتوسل بالنبي ﷺ خاصة، مع قولهم: إنه لا يستغاث بمخلوق، فالفرق ظاهر جدا، وليس الكلام مما نحن فيه، فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصه بالنبي ﷺ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك وكيرهه، فهذه المسألة من مسائل الفقه ٥، ولو كان الصواب عندنا: قول الجمهور: إنه مكروه، فلا ننكر على من فعله؛ ولا إنكار في مسائل الاجتهاد. [فتاوى ومسائل (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الرابع]

﴿ولما جاء هم كتاب من عند الله مصدق لما معهم﴾ من التوراة هو القرآن ﴿وكانوا من قبل﴾ قبل مجيئة ﴿يستفحون﴾ يستنصرونه ﴿على الذين كفروا﴾ يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبي

المبعوث آخر الزمان ﴿فلما جاء هم ما عرفوا﴾ من الحق وهو بعثة النبي ﴿كفروا به﴾ حسدا وخوفا على الرياسة وجواب لما الأولى دل عليه جواب الثانية ﴿فلعنة الله على الكافرين﴾

نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مبعثه - قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقتادة. (روح المعاني)

حدثنا طاهر بن عيسى بن قيرس المصري المقري، ثنا أصبح بن الرج، ثنا ابن وهب عن أبي سعيد المكي، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر الخطمي المدني، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف: أن رجلا، كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكى ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: "ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتقضي لي حاجتي وتذكر حاجتك" ورح حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان رضي الله عنه، فأجلسه معه على الطنفسة، فقال: حاجتك؟ فذكر حاجته وقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فأذكرها، ثم إن

الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي ولما يلتفت إلى حتى كلمته في، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكني شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره، فقال له النبي ﷺ: "فتصبر" فقال: يا رسول الله، ليس لي قائد وقد شق علي، فقال النبي ﷺ: "ائت الميضأة فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات" قال ابن حنيف: فو الله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط [ص: ٣١] حدثنا إدريس بن جعفر العطار، ثنا عثمان بن عمر بن فارس، ثنا شعبة، عن أبي جعفر الخطمي، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف، عن النبي ﷺ، نحوه. (المعجم الكبير الطبعة الثانية)

قال أبو الربيع بن سالم الحافظ: كان وقت وفاة أبي محمد بن عبيد الله قحط مضر فلما وضع على القبر توسلوا به إلى الله في إغاثتهم فسقوا في تلك الليلة مطرا وابلاً، وما اختلف الناس إلى قبره مدة الأسبوع إلا في الوحل والطين. (تذكرة الحفاظ)

سمعت أبا الربيع بن سالم يقول: صادف وقت وفاته قحط، فلما وضعت جنازته، توسلوا به إلى الله، فسقوا، وما اختلف الناس إلى قبره مدة الأسبوع إلا في الوحل.

قال العلامة الخطيب البغدادي عن شيخ الحنابلة أبي علي الخلال، قال: سمعت الحسن بن علي أبا علي الخلال يقول: ما همَّني

أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر، فتوسلت به إلّا سهَّل اللّٰه تعالىٰ في ما أحب [تاريخ بغداد ج١/١٣].

هنا قائمة علماء أهل الحديث السلفيين، نذكر هنا الدلائل لئلا يكون مجال للإنكار.

١ ـ النواب صديق حسن خان:

هو أجل من أن يذكر، وأعظم من أن يثنى عليه، كان إماماً وعلامةً لدى جماعته. قال في ترجمة الشيخ ابن عربي: جزاه اللّٰه عنا وعن سائر المسلمين بجاه سيد الأصفياء وخاتم النبيين. (التاج المكلل،ص:١٧٦)

٢ ـ العلامة وحيد الزمان الحيدرآبادي:

قال في نزل الأبرار:التوسل بالأنبياء والصالحين جائز، ويتساوى فيه الأحياء والأموات. (٥)

٣ ـ الإمام إسماعيل الشهيد:

إن التوسل بالنبي طريق التزلف إلى اللّٰه تعالىٰ ليسهل نيله للصالحين، وبدونه يتخبط الإنسان خبط عشواء. (منصب الإمامة:٤)

٤ ـ الشيخ أبوالمكارم:

وجاء في الجوابات الفاخرة:

"إن المقصود من التوسل بيارسول اللّٰه جائز، وإذا قال أحد: يارسول اللّٰه ! أتوسل إليك في الخلاص من المصايب، كان جائزاً".

وقال القاضي محمد بشير بن محمد بدرالدين السهسواني الهندي [١٣٢٦هـ]: "والثالث أن يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بتصديقه على الرسالة، والسادس: التوسل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. [صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص: ٢٠٤-٢٠٦].

تعريف بعديد من العلماء :

١ ـ النواب صديق حسن خان:

قال مؤلف: جهود مخلصة:

"وقاد هذه الحركة العلمية والإصلاحية مجدد العصر الإمام النواب صديق حسن البوفالي والإمام السيد نذير حسين المحدث الدهلوي [ص:٩٣].

وذكر في كتاب: "الروضة الهندية" عنه:

"السيد الإمام، العلامة الهمام، أبو البطين، الحائز الشريفين، السامي على الفرقدين، صدر العلماء المسندين، عظيم المقدار، الذي فازت به بوفال على جميع الأقطار وانتشرت بجوده علوم السنة والآثار [الروضة: ١١]

قال مؤلف الرحيق المختوم الشيخ صفي الرحمٰن المباركفوري:

وقد لقبه ناشر التاج المكمل ومدير مكتبة دار السلام عبد المالك مجاهد بفضيلة الشيخ العلامة [التاج المكمل ص:٥].

وعدّه العالم السلفي الشهير مبشر الرباني في كبار العلماء [أسئلة الناس وأجوبتهم، ج٢/١٨١]

وقال الشيخ عبد الرشيد العراقي عنه:

"إن شخصية العلامة السيد النواب صديق حسن خان عرف العالم وألف حوالي ٢٢٢/كتاب باللغة العربية والفارسية والأردية عن التفسير والحديث والعقائد والفقه والتقليد والسياسة والتاريخ والسيرة، والمناقب والعلوم والأدب والتصوف والأخلاق ورد الشيعة. [خدمات علماء أهل الحديث في نشر الحديث ص: ٧٨٠].

٢ـ النواب وحيد الزمان الحيدر آبادي:

كفاه تعريفاً أنه مترجم معاني القرآن ومفسرله؛ ومترجم الصحاح الستة، كان العالم الشهير الشيخ محمد إبراهيم السيالكوتي الذي يلقب أجل تلامذة المحدث شيخ الكل ميان نذير حسين الدهلوي. [تاريخ أهل الحديث ص:٤٨١]

وقال الشيخ بديع الدين الراشدي [الذي اعتبره زبير علي زئ أستاذاً له] عنه: النواب الهمام، العالم العامل، فقيه الوقت، ومحب السنة وحيد الزمان بن مسيح الزمان الدكني. [هداية المستقيم ترجمة فتح المجيد ص: ١٠٣].

وكان يلقبه العالم السلفي الشيخ عبد الله الروبري بمحدث حيدرآباد، وقال الشيخ عبد الرشيد العراقي عنه: [فتاوئ أهل الحديث ج٢/٢٣]

يعد الشيخ وحيد الزمان بن مولانا مسيح الزمان في علماء

أهل الحديث الذي كان في طليعة علماء أهل الحديث، خدم السنة بلون جديد. [خدمات علماء أهل الحديث التصنيفية].

٣ـ الإمام إسماعيل الشهيد

قال شيخ الكل المحدث السيد نذير حسين الدهلوي:

"إني مغرم بالجد بالإمام ولي الله الدهلوي والحفيد الأعظم الإمام إسماعيل الشهيد، ويتفجر الفيض الرباني من كتاباتهما. [الحياة بعد المماة: ١٦٧]

وقد لقب العالم المشهور طالب الرحمٰن الإمام إسماعيل الشهيد بالإمام العالم الرباني، والداعية المجاهد، ومجدد الوقت، يقول: "وإمام هذه الحركة وداعيها الشاه إسماعيل الشهيد" [الديوبندية: ١٢] وقال الشيخ محمد إبراهيم السالكوتي عنه:

"كان من أئمة الدين والفقهاء المفتين والمحدثين العظام، لا يوجد مثال لهذين الشيخين في شبه القارة الهندية، الذين كانا وزيرين لشيخه، في هذا العهد الطويل الممتد على اثني عشر قرناً". [تاريخ أهل الحديث ص:٤٦٦-٤٦٧]

٤ـ الشيخ أبو المكارم محمد علي

يُعدُّ في علماء أهل الحديث، قام بخدمات جليلة في رد فتنة إنكار الحديث والدفاع عن السنة [خدمات علماء أهل الحديث في نشر الحديث ص:١٣٤].

وقال صاحب كتاب "جهود مخلصة في خدمة السنة

المطهرة" الدكتور عبد الرحمٰن بن عبد الجبار الفريوائي:

"والشيخ المحدث العلامة أبو المكارم محمد علي بن العلامة فيض الله المئوى [١٢٧٢-١٣٥٢هـ].

أحد كبار علماء الهند والمتضلعين من علوم الكتاب والسنة، تلمذ على أساتذة عصره، وأسند عن المحدث السيد نذير حسين، وبذل جهوده في نشر السنة وإحيائها ونشر العقيدة السلفية والدفاع عنها" [جهود مخلصة ص:١٤٤]

٥ـ القاضي محمد بشير السهسواني

العلامة القاضي محمد بشير السهسواني صاحب" صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان، تلميذ السيد نذير حسين الدهلوي، تولى رئاسة القسم الديني ببلدة بوفال". [انظر خدمات علماء أهل الحديث في نشر الحديث ص:٥٦، وجهود مخلصة ص:١٠٢].

القول الفصل:

اضطررنا إلى ذكر هذه التفاصيل ليكون الناقد على ذكر منها، فإذا خطر بباله الانتقاد على فضائل الأعمال فليفتش عن عقر داره، وليقض فيه قضاء ه.

على كل، فلا مانع في انتهاج منهج الطريقة الصحيحة للتوسل بعيداً من الإفراط والتفريط. وفقنا اللّٰه للفهم الصحيح ووقانا من الإفراط والتفريط.

عجباً كل العجب من الناقد الذي يدعي أن هذا الحديث

مضاد للآية القرآنية، رغم أن الحديث لايكون ضد القرآن، بل يفسّر القرآن، إن ما جاء في القرآن من تلقي آدم كلمات، ومغفرة الله إياه، فمتى أكرم آدم بهذه الكلمات وكيف؟ لم يقل القرآن عنها شيئاً، هذا التفصيل قد اطلعنا عليه من الحديث.

والجدير بالذكر أن آدم عليها السلام كم اختار من أساليب إرضاء الله تعالىٰ والالتجاء إلى جنابه بحيث تقبل الله منه، فأكرم بالكلمات التي كانت سبب الغفران له.

لم يذكر في هذا الحديث أن الله غفر له بعد التوسل إليه، فإن كان الأمر كذلك ظننا أن هناك تناقضاً، فالحاجة إلى رفض الحديث الضعيف لازماً، لكن الواقع خلاف ذلك، ودعوى التناقض مجوفة هواء.

التساؤل السابع

ورد في فضائل الأعمال للخضر عليه السلام أنه يلقى الناس ويزورهم، رغم أن هذه العقيدة ضد الإسلام، ومثال للتصرف في الكون، ومثل هذه القصص أسطورة، ولم تذكر في كتاب موثوق به.

الجواب: يعتبر الناقد قصص الخضر عليه السلام مضادةً للعقيدة الإسلامية، ويقول: إنها مثال للعقائد الشركية، فالأصل أن هذه القضية ليست من العقائد ولامن الشرك، وأحسن ما قال علماء السعودية في حياة الخضر عليه السلام أنه ليس بحي (انظر فتاوى اللجنة الدائمة ج٣/٢٨٤-٢٨٨)، فتجلى منه أن هناك عدة أقوال للعلماء: "والأحسن فيه ماقال": فلو كانت هذه القضية للعقائد لقال العلماء عنها كفراً وشركاً، ولا يقولون حسناً وأحسن.

قبل أن نذكر القصص في هذا الباب نبيّن مذاهب العلماء أوّلاً:

قال الإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري:

"قال ابن الصلاح: هو حي عند جمهور العلماء والعامة معهم في ذلك، وإنّما شذَّ بإنكاره بعض المحدثين، وتبعه النووي، وزاد أن ذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح، وحكاياتهم في رؤيته

والاجتماع به أكثر من أن تحصر" [فتح الباري كتاب الأنبياء، ص: ٥٠٠، بتحقيق الشيخ عبد القادر شيبة الحمد مدرس المسجد النبوي ونفقة الأمير سلطان بن عبد العزيز].

ثم نقل الإمام ابن حجر عدة قصص وروايات متعلقة بهذا الموضوع [انظر للتفصيل ص:٤٩٩-٥٠٢].

وقد أشار إلى هذا الإمام القرطبي في تفسيره [الجامع لأحكام القرآن ج١١/٢٨]، إن الناقد يقول: إن كتاباً موثوقا به لم ينقل مثل هذا من القصص، وكلها أساطير وخرافات، عليه أن يراجع القصص الآتية في الكتب الموثوق بها.

١ ـ قال ابن رجب الحنبلي:

وكتاب الإفصاح فيه فوائد غريبة، وقال فيه: الخضر الذي لقيه موسىٰ عليه السلام، قيل: كان ملكاً، وقيل: بل نبي، وهو الصحيح.

والصحيح عندنا: أنه حي، وأنه يجوز أن يقف على باب أحد مستطيعاً له، وغير ذلك لما حدثني محمد بن يحيى الزبيدي، وذكر عنه حكايات تتضمن رؤية الخضر والاجتماع به. [ذيل طبقات الحنابلة ج١/٢٧٧]

وجاء أيضاً فيه:

فقال أبو الطيب للبغوي: أتعرف الرجل؟ فقال: أظنه الخضر عليه السلام، وجاء في ترجمة أبي الفرج الحنبلي: يقال: إنه اجتمع بالخضر عليه السلام مرتين [سير أعلام النبلاء ج١/٥٣].

التساؤل الثامن

ورد في كتاب فضائل الأعمال أن كثيراً من المشايخ والأولياء كانوا يختمون القرآن ختمات، ويسبحون تسبيحات، رغم أنها لم تثبت عن النبي ﷺ، فهي بدعة وضلالة.

الجواب: هذا دليل على قلة عقل الناقد وجهالته أنه يعتبر الإكثار من العبادة بدعةً وضلالةً، سدد الله خطانا ووفقنا لما يحبه ويرضاه.

إذا لاحظنا عبادات سلفنا الصالح وإكثارهم في العبادة في المؤلفات المعتبرة القيمة انبرت أكاذيب الناقد جلياً واضحاً:

١ ـ "قال أبو الحسين، قال يحيى بن أكثم: صحبت وكيعاً في السفر والحضر فكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة". [طبقات الحنابلة ج١/٣٩٢]

٢ ـ قال أبو زرعة الطبري: قال أبو يحيى الناقد: قد اشتريت من الله حوراء بأربعة آلاف ختمة.

٣ ـ قال العلامة الخطيب البغدادي عن محمد بن عبد الرحمن بن شبرمة الضبي: إنه قرأ في يوم من أيام الصيف الطوال أربع ختم، وبلغ في الخامسة إلى براءة، وأذن مؤذن العصر، وكان من أهل الصدق.

٤ ـ حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر القزويني بمصر، قال: سمعت الربيع بن سليمان، يقول: كان الشافعي يختم في كل ليلة ختمة، فإذا كان شهر رمضان ختم في كل ليلة منها ختمة وفي كل يوم ختمة فكان يختم في شهر رمضان ستين ختمة.

٥ ـ عن أبي هشام الرفاعي قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: لي غرفة قد عجزت عن الصعود إليها، وما يمنعني من النزول منها إلا أني أختم فيها القرآن كل يوم وليلة منذ ستين سنة.

٦ ـ قال ابن الجوزي: مارأيت أحداً قط أكثر ركوعاً وسجوداً من مصعب بن ثابت، كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة ويصوم الدهر [صفة الصفوة ج٢/١٩٧].

٧ ـ قال الذهبي رواية عن مسيح بن سعيد، قال الحاكم: حدثنا محمد بن خالد المطو يحي، حديث مسيح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل يختم في رمضان كل يوم ختمةً، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث بختمة. [سير أعلام النبلاء ج١٢/٤٣٨].

٨ ـ قال الإمام السبكي عن الإمام أبي الحسن الأشعري: ذكر من صحبه أنه مكث عشرين سنة، يصلي الصبح بصلاة العتمة. [طبقات الشافعية: ج٣/٢٤٨].

٩ ـ وجاء في ترجمة الإمام النووي في الفتح المبين:

"كان يأكل مرة واحدة في يوم وليلة بعد العشاء، وتتناول أحياناً في السحر للتسحر، ولا يقبل هدايا أحد، دفن في نوى، رحمه

الـلّٰه، وغيره مشهور لا يزار، ويقصده الناس [الفتح المبين ص٢٧/ طبع دار المنهاج، جدة].

١٠ ـ قـال الشيـخ مـحـمـد بـن عبـد الوهاب: يستحب ختم الـقرآن بعد كل سبعة أيام، نظراً إلى الأحاديث التي رواها أبوداؤد عن أحـاديـث عبـد الـلّٰـه بن عمر وأوس بن حذيفة، و روى عنه: مرة ختم الـقـرآن غير محدودة، وتتوقف علىٰ النشاط والقوة، لأن عثمان رضي اللّٰه عنه ختم كل ليلة. [مؤلفات محمد بن عبد الوهاب ج٢/١٥٨]

فـليتـق الـناقد اللّٰه، وليجتنب إصدار أوامر الشرك والبدعة إلى الناس.

التساؤل التاسع

جاء في فضائل الأعمال أن المؤسس الأول للكعبة سيدنا آدم عليه السلام، رغم أنّ الأطفال يعرفون أن سيدنا إبراهيم عليه السلام أول من أسس الكعبة، فإذا كان علم شيخ الحديث هكذا فكيف مستوى علم عامة الناس ؟ !

الجواب: إن ما ذكر من تفاصيل عن المؤسس الأول للكعبة خانها الناقد، وانتقد بجهله وغباوته، إنه يقول: كتب الشيخ أن سيدنا آدم عليه السلام هو المؤسس الأول للكعبة، رغم أن قد جاء في كتاب فضائل الأعمال:

"اختلف العلماء في البناء الأول عن بيت الله الحرام، أن قد بناه سيدنا آدم أم الملائكة، حتى قال بعض العلماء: إن بداية الأرض كانت هنا، في صورة حباب على الماء، ثم دُحيت بها الأرض، فلما جاء طوفان نوح عليه السلام رفع هذا المكان، فرفع فيما بعد إبراهيم عليه السلام بمساعدة من سيدنا إسماعيل عليه السلام، كما أشار إليه القرآن يقوله: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربّنا تقبل منّا، إنك أنت العليم الحكيم". (فضائل الحج: ص٧)

فقد ذكر الإمام المحدث عدة أقوال في هذا الباب، لكن

الـنـاقد غيّر المفهوم، ويقول: "إن الأطفال يعرفون أن المؤسس الأول للكعبة هو سيدنا إبراهيم عليه السلام" لعل أطفال الناقد يعتقدون مثل ذلك، وإلّا فهـنـاك اختـلاف من الناحية التاريخية، فليراجع فيه الكتب التاريخية الموثوق بها.

فـعـلـىٰ سبيـل الـمثـال جـاء ذكر عمارة الكعبة بالتفصيل، في تاريخ مكة [مـؤلف الـعـالـم أبـي الوليد الأزرقي من القرن الثالث الهجري]، فيه إشارة واضحة إلى أن هناك عمارات آتية قبل إبراهيم عليه السلام:

١ ـ وجود الكعبة قبل خلق السماوات والأرض [ج١/٤١].

٢ ـ عمارة الملائكة الكعبة القدسة قبل خلق آدم [ج١/٤٤].

٣ ـ عمارة سيدنا آدم وحجه [ج١/٤٩-٥٨].

٤ ـ عمارة أولاده بعد آدم [ج١/٦٩].

[انظر للتفصيل تاريخ مكة طبع مكتبة نزار مصطفىٰ الباز مكة المكرمة].

وورد فـي كتاب بيت اللّٰه الحرام للإمام الأستاذ أحمد محمد شمس الدين:

"هو أول بيت بني على وجه الأرض قبل آدم" [ص:١٤].

وقال العلامة عبد اللّٰه غازي في كتابه: إفادة الأنام:

وعـن عبـد الـلّٰـه عمرو قال: "لما أهبط اللّٰه آدم من الجنة قال: إنـي مهبـط بيتـا - أو مـنـزلا - يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ويـصـلـي عـنده كما يصلي حول عرشي، فلما كان زمن الطوفان رفع وكـان الأنبياء يحجونه، ولما يعلمون مكانه، فبوأه لإبراهيم، فبناه من

خمسة أجبل: حراء وثبير ولبنان وجبل الطور وجبل الخير؛ فتمتعوا منه ما استطعتم". [مجمع الزوائد ومنبع الفوائد]

وقد نقلت هذه الروايات المفصلة في كتب التفسير، [انظر الدرالمنثور للإمام السيوطي ج١/٣٠٤-٣٣١]، وتفسير الجلالين للإمام جلال الدين المحلي والإمام السيوطي [ص:٦٢] والتفسير الكبير للإمام الرازي [ج٣/٢٨٦] والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي [ج٢/١٢٠] وتفسير السدي الكبير ص:١٨٢].

فعلىٰ الناقد أن يوجه سهام النقد إليهم ويتأسف على أحوالهم.

التساؤل العاشر

ذكر في فضائل الأعمال الترغيب في بدع كثيرة مثل الدعاء للميت، وذكر الله تعالىٰ في أعداد وأرقام خاصة، وهو لم يثبت من الحديث.

الجواب: هذه أكذوبة الناقد، لم يأت ترغيب في كتاب فضائل الأعمال عن البدع، فإذا كانت وجهة نظر الناقد في شأن البدع مختلفة ففيها نظر، خذوا على سبيل المثال: الدعاء للميت، وقد تحدث الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه الروح، بتفصيل، وردَّ على تساؤلات ناقدي هذه الوجهة بالانفراد، (انظر كتاب الروح ص:١٤٥-١٧٣).

وينقل إجماع أهل السنة في بدايته على أن الثواب يصل إلى الميت من جهتين: إحداهما أن الميت إذا كان سبباً لعمل استمرّ أجره وثوابه.

وثانيهما: يصل إلى الميت دعاء المسلمين الأحياء، واستغفارهم له، والصدقة والحج بالإجماع، ثم يقول: "واختلفوا في العبادة البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر، فمذهب الإمام أحمد وجمهور السلف وصولها" [الروح: ١٤٥].

وقال الإمام النووي في الأذكار:

"أجمع العلماء على أن الدعاء للأموات ينفعهم، ويصلهم ثوابه، واختلف العلماء في وصول ثواب قراءة القرآن، فالمشهور من مذهب الإمام الشافعي وجماعة أنه لايصل، وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء، وجماعة من أصحاب الشافعي، إلى أنه يصل".

[الأذكار: ٢٥٢]

فهناك كتب التفسير وشروحها، تدل على هذا الموقف، فكيف يكون بدعة؟ فليتأمل الناقد.

التساؤل الحادى عشر

جاء في كتاب فضائل الأعمال أن للمدينة المنورة اسماً ما يتزايد عن ألف. [فضائل الأعمال ج٢/١٤٤] رغم أنه غلو وإفراط، لاعلاقة له بالحقيقة.

الجواب: هنا أيضاً خان الناقد، لأن الإمام المحدث لم يذكر هذا القول من عند نفسه، بل كتبه نقلاً عن الإمام ابن حجر المكي رحمه الله تعالىٰ، يكتب الإمام ابن حجر الهيثمي في حاشية شرح الإيضاح للإمام النووي:

قد ذكر بعض المتأخرين أسماء المدينة إلى آلاف، التي استنبطها من كتب العلماء [حاشية على شرح الإيضاح ص:٤٧٣، طبع مكتبة نزار، مصطفىٰ الباز، مكة المكرمة] هذا غلو طبقاً للناقد.

قال الإمام النووي:

"اعلم أن زيادة الأسماء تدل على عظمتها، ولا توجد قائمة لأسماء مثلما كانت لمكة والمدينة، لأنهما خير بقاع الأرض [٤٧٤]

وقد وجدت عدة أسماء للمدينة المنورة في الكتب المذكورة أدناه:

١ ـ بهجة النفوس والأسرار [ج١/٢٩، مكتبة نزار مصطفى الباز]

٢ ـ والعلامة عبد اللّٰه بن محمد بن عبد الملك المرجاني [م٧٦٩هـ]

٣ ـ كتاب تحقيق النصرة [الفصل الثاني ص:٤٢]

٤ ـ العلامة زين الدين أبو بكر بن الحسين المراغي [م٨١٦هـ]

٥ ـ المغانم المطابة في معالم طابة [الباب الثالث: ٢٦١]

للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي [٧٤٩-٨١٧هـ] كتاب طبع في مركز البحوث والدراسات، المدينة المنورة.

وقد ذكر العلامة السمهودي [٨٤٤-٩٢٢م] تسعين اسماً للمدينة المنورة في كتابة خلاصة الوفاء [انظر ج١/١٩-٩٢]، طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكني عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

التساؤل الثاني عشر

ورد في فضائل الأعمال حديث ضعيف: اختلاف أمتي رحمة، فجاء ترغيب في ضوء هذا الحديث في اختلاف الأمة، غير أن استيئصال الاختلاف حاجة الزمان، لأن الاختلاف تفريق ونقص في الدين، والسنة واحدة، لأن النبي ﷺ واحد، وأتى بمنهج الصراط المستقيم، رغم أن المذاهب الفقهية تحدث الشقاق في الأمة.

الجواب: كذب الناقد مرةً، لم ينقل هذا الحديث في فضائل الأعمال، بل ذكر اختلافات علماء الحق، لعلّ الناقد يدعي ديناً جديداً، لأن اختلاف العلماء يتفق عليه، ولعل إضلال عامة الناس سهل، لكن إخفاء الحقيقة صعب.

أوّلاً: نراجع فضائل الأعمال للبحث عن فضائل الأعمال، وإذا أردت التفصيل فلتراجع الفصل السادس من فضائل التبليغ، [ص: ٢٥-٢٨]:

"اختلاف العلماء رحمة، وهذا واقع ملموس، فإذا أفتى عالم بدليل شرعي، وكانت الفتوى غير صحيحة كان مضطراً على الاختلاف، وإذا لم يختلف كان مداهنا وعاصياً". [فضائل التبليغ ج١/٢٨].

فلنراجع آراء العلماء الآخرين، ولانقدم هنا إلاّ قراراً للدورة التاسعة لرابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة.

"النوع الثاني هو الاختلاف الفقهي في بعض المسائل، ويكمن وراء ها أسباب علمية، من بينها حكمة الله العظيمة، ورحمته على عباده، أضف إلى ذلك السعة في استنباط الأحكام من النصوص فهذا الاختلاف نعمة، وثروة فقهية قانونية عظيمة، وفر الله سعة وفسحة في الدين والشريعة".

لكن حسب قول الناقد كان هذا نقصاً في الدين وسبباً لإفساد الأمة. وجاء في القرار أيضاً: "لم يكن هذا الاختلاف الفقهي تناقضاً أو نقصاً في الدين و لا يعتبر كذلك، فهو رحمة و نعمة من الله على عباده".

وقد وقع على هذا القرار العلماء الآتي ذكرهم:

١ ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٢ ـ الشيخ محمد بن عبد الله بن السبيل

٣ ـ الدكتور عبد الله عمر نصيف.

٤ ـ الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله

٥ ـ العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي.

انظروا كيف ورد القرار ضد نظرية الناقد، فليس في وسعه إن شاء الله أن يهجم على هؤلاء العلماء.

نلتمس من العامة أن يحذروا كل الحذر من الدجالين ويدحضوا مكرهم، وإن لم يردوا عليه فيتصلوا بالعلماء الصالحين، وقانا الله من هذه الفتن.

التساؤل الثالث عشر

تنشر هذه الفكرة من كتاب فضائل الأعمال استفادة من أحاديث مزورة أن رسول الله ﷺ ما توفي، وأنه حيّ في القبر مثل الحياة الدنيا، وحياته في القبر ليست برزخية، وأنه يسمع تقديم الصلاة والسلام من المصلين عليه، ويطعم الجائعين وينصر الملهوفين، وهذا تمثيل للعقيدة الديوبندية، وقد ورد في كتاب "المهند على المفند" أوثق كتاب لعقائد علماء ديوبند: أن النبي ﷺ حيّ في قبره، هذه الحياة دنيوية لا برزخية.

الجواب: يتمهر الناقد في الكذب وإلصاق التهم، والتأويل الفاحش، لم يكتب في فضائل الأعمال: أن النبي ﷺ ماتوفي، ولم يمت، بل ذكر الإمام المحدث عن وفاة رسول الله ﷺ وخطبة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه الشهيرة أيضاً [انظر قصص الصحابة ص:١٦٨، وفضائل الذكر ص: ١٢٨-١٣٠]، أما ذكر هذه القصص فهو من الخوارق، فلايفهم منه أن هذه العقيدة فاسدة، فإذا كان وقوع هذه الأمور على أيدي عامة المشائخ فسيدنا رسول الله ﷺ أعظم وأرفع من هذا، اقرؤا عدة قصص بهذه المناسبة:

..... كان سعيد بن المسيب يسمع صوت الأذان من قبر

رسول اللّٰه ﷺ وقت الصلاة في أيام الحرة، ويقع هذا في وقت يذهب فيه بقية الناس، ولم يكن في المسجد سواه. [الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان ص: ٢١٧]

فعلى الناقد أن يقول تحت هذه القاعدة:

"يثبت من هذه القصة أن فيها إنكاراً للنبي ﷺ، وهو حي، ويؤذن، فلايجوز دراسة كتاب الإمام ابن تيمية، لأنه يخشى فساد عقائد الناس".

لكن الناقد لايقول بهذه المناسبة شيئاً، وهذا إن دلّ على شيئ فيدل على مخالفته لكتاب فضائل الأعمال.

وجاء في كتاب: "خدمات علماء أهل الحديث في نشر الحديث" ص: ١١٦:

أما حياة النبي ﷺ في قبره وسماعه الصلاة والسلام عليه فما اتفق عليه العلماء. قال السخاوي، تلميذ الإمام ابن حجر العسقلاني:

"ونحن نؤمن ونصدق بأنه ﷺ حي يرزق في قبره وأن جسده الشريف لاتأكله الأرض، والإجماع على ذلك". [القول البديع ص: ١٦٧]

وليست هذه العلة قادحة، فإنّ للحديث شواهد من حديث أبي هريرة وأبي الدرداء وأبي أمامه وأبي مسعود الأنصاري وأنس بن مالك والحسن عن النبي ﷺ مرسلاً: [جلاء الأفهام ص: ٣٨]

قال ابن قيم في كتاب الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة:

"والسلف مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم، بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به. [الروح ص:٩]

أما الاعتراض على القصص الأخرىٰ فقد أجيب عنها، وقد مرت حقيقة هذه القصص:

وقول الناقد أن حسب عقيدة علماء ديوبند يعيش النبي ﷺ حياة دنيوية، فقد كذب، فعليه أن يدرس كتاب العلامة خليل أحمد السهارنفوري يقول:

"عندنا وعند مشائخنا حضرة الرسالة ﷺ حيّ في قبره وحياته الشريف، وحياته ﷺ دنيوية من غير تكليف وهي مختصة به ﷺ وبجميع الأنبياء صلوات الله عليهم والشهداء لابرزخية كما هي حاصلة لسائر المؤمنين، بل لجميع الناس كما نص عليه العلّامة السيُوطي في رسالته "إنباء الأذكياء بحيٰوة الأنبياء"، حيث قال الشيخ تقي الدين السبكي: حيٰوة الأنبياء والشهداء في القبر كحيوتهم في الدنيا، ويشهد له صلو ة موسىٰ عليه السلام في قبره، فإن الصلاة تستدعي جسداً حياً إلىٰ آخر ما قال: فثبت بهٰذا أن حياته دنيوية برزخية لكونها في عالم البرزخ، ولشيخنا شمس الإسلام والدّين محمد قاسم العلوم على المستفيدين قدس الله سره العزيز، في هٰذا المبحث رسالة مستقلة دقيقة المأخذ بديعة المسلك لم ير مثلها، قد طبعت وشاعت في الناس، واسمها آب حيات أى ماء الحياة".

التساؤل الرابع عشر

ورد في فضائل الأعمال أنه قدجاء ترغيب في الإكثار من الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة. [فضائل الصلاة على النبي:٣٨] **رغم أنه لا أصل له، وهو إفراط الصوفية الغلاة، ويستحب الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كل وقت، فإن تخصيصها بأوقات خاصة ضلالة، حفظنا اللّه تعالىٰ من كل مكروه.**

الجواب: مما لاشك فيه أن الإكثار من الصلاة على النبي مطلوب، لكن حكاية الناقد أنه ليس هناك أوقات محددة دليل على الجهل الصرف والضلالة والغواية.

وقد ورد في التساؤل الثالث عشر من أحاديث أوس بن أوس: جاء في بدايتها: أكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة، وجاء في مستهل حديث أبي الدرداء: أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة.

وقد مضى البحث الطويل في هذين الحديثين.

فليخبرنا الناقد بأن المصاب بالإفراط والغلو من هو؟

التساؤل الخامس عشر

ورد ترغيب في صلاة التسبيح في فضائل الأعمال.

[فضائل الذكر ص:١٦٩-١٧٦] **ولا أصل لهذه الصلاة، وأحاديث صلاة التسبيح ضعيفة وموضوعة، فأداء هذه الصلاة بدعة.**

الجواب: هذا دليل على جهل الناقد، وعدم الاطلاع على فن الحديث، قد ألّفت كتب كثيرة عن صلاة التسبيح، نذكر بعضاً منها هناك، نظراً إلى أهميتها، وليعلم أن شيخنا المحدث ليس فريداً في هذا الباب:

١ ـ صلاة التسبيح للإمام الدار قطني[م ٣٨٥هـ]

٢ ـ فضائل صلاة التسبيح للحافظ السمعاني[م ٥٦٢هـ]

٣ ـ تصحيح حديث التسبيح للحافظ أبي موسىٰ المديني.

٤ ـ الترشيح لصلاة التسبيح للعلامة السبكي.

٥ ـ الترجيح لصلاة التسبيح للحافظ ابن ناصرالدين الدمشقي.

٦ ـ أمالي الأذكار للحافظ ابن حجر العسقلاني مؤلف فتح الباري[م ٨٥٢هـ]

٧ ـ التصحيح لصلاة التسبيح للإمام السيوطي[م ٩١١هـ]

وغيرها.

وهناك علماء لايريدون بأساً في أداء هذه الصلاة، ولايعتبرونها بدعة، بل يعتبرونها مندوبة ومستحبة، أمثال:

١ـ الإمام الحاكم، ٢ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني، ٣ـ الإمام الدارقطني، ٤ـ الإمام النووي، ٥ـ الإمام ابن الصلاح، ٦ـ والإمام البيهقي، ٧ـ الإمام السبكي، ٨ـ الحافظ العلاني، ٩ـ الإمام ابن علان، ١٠ـ الإمام سراج الدين البلقيني، ١١ـ الإمام الزبيدي، ١٢ـ العلامة الزركشي، ١٣ـ الحافظ ابن حجر الهيثمي، ١٤ـ الإمام السيوطي، ١٥ـ الإمام ابن قدامة الحنبلي، ١٦ـ العلامة ابن عابدين الشامي، ١٧ـ العلامة البزدوي وغيرهم.

ملاحظة: هذه التفاصيل المذكورة أعلاه قد ذكرها العلامة الدكتور المحقق إيمان علي عبد الغني [أستاذ قسم الحديث والتفسير جامعة الكويت في مقدمة تحقيق كتاب"ذكر صلاة التسبيح" للعلامة البغدادي].

وردت أحاديث كثيرة في الترغيب لصلاة التسبيح مثلاً حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما أول حديث في هذا الباب في فضائل الذكر، وذكره العلماء الآتي ذكرهم:ـ

الإمام البخاري[جزء القراءة ص:١٥٨] والإمام أبوداؤود[السنن: ١٢٩٧] والإمام ابن ماجه[السنن ١٣٨٧] والإمام ابن خزيمة. [الصحيح١٢١٦] والإمام الطبراني. [الكبير، ج١١/ ٢٤٣،٢٤٤ـ] ولإمام الحاكم[المستدرك ج ١/ ٣١٨] والإمام

البيهقي[الدعوة الكبيرةوالسنن ج ٣/٥١ـ٥٢] والعلامة الخطيب البغدادي[صلاة التسبيح ص ٥٧] وغيرها.

وهذا الحديث على أقل درجة حسن.

وقد نقلت في هذا الباب من طرق مختلفة أحاديث ٧ بعضها حسن، وبعضها ضعيف، لكن تصل إلى درجة الصحيح، وتكون محتجة من المتابعات والشواهد.

قال العلامة المنذري:

قال الحافظ وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة وعن جماعة من الصحابة وأمثلها حديث عكرمة هذا، وقد صححه جماعة منهم الحافظ أبو بكر الآجريّ وشيخنا أبو محمد عبد الرحيم المصري وشيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي رحمهم اللّه تعالىٰ.

١ ـ وقال أبوبكر بن أبي داود سمعت أبي يقول: ليس في صلاة التسبيح حديث صحيح غير هذا، وقال مسلم بن الحجاج رحمه اللّه تعالىٰ: لا يروى في هذا الحديث إسناد أحسن من هذا يعني إسناد حديث عكرمة عن ابن عبّاس[الترغيب والترهيب ج ١/ ٤٦٨].

وقال ابن حجر:

قال الدارقطني: أصح شيئ في فضائل سور القرآن: قل هو اللّه أحد. [الإخلاص:١] وأصح شيئ في فضل الصلاة صلاة التسبيح.

[التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ج ٢/٧]

التساؤل السادس عشر

كتب الشيخ محمد زكريا جملة"رضي اللّه عنه" مع التابعين مثل الإمام أبي حنيفة، وأنه لايجوز مطلقاً، ويعرف الجميع أن هذا اللقب خاص بالصحابة، كما أن "عليه السلام" تختص بالأنبياء.

الجواب: هذا دليل على قلة علم الناقد، قال اللّه عزوجل: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي اللّه عنهم ورضوا،ذلك لمن خشى ربه[البينة: ٨].

وجاء في كتاب الجلالين في تفسير آية ١٠٠:-

["والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار"]وهم من شهد بدرا أو جميع الصحابة، والذين اتبعوهم إلى يوم القيامة. [بإحسان] في العمل[رضي اللّه عنهم] بطاعة[ورضوا عنه] بثوابه. [ص: ٢٠٣] [وانظرالجلالين: ٥٤٥،٥٩٩]

وكذلك توجد إشارات فى التفاسير المذكورة أدناه الإمام ابن كثير. [م ٧٧٤] [تفسير القرآن العظيم ج ٤/ ٤٢٥] والإمام أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى[م ٨١٠هـ] [جامع البيان] [ج ١١/

٢٤٤-٢٤٥] [و ج ١٤-ص٤٣٤-٤٣٩] [وج ٢٤ ص ٥٥٦-٥٥٧] والإمام القرطبي[م ٦٧١هـ]الجامع لأحكام القرآن ج ٦/ ص ٣٧٩-٣٨١] و[ج ٨٠/ ٢٢٨] وج ١٧/٣٠٨- ج ٢٠/ ١٤٥-١٤٦] والإمام أبو حيان[م ٧٤٥هـ] البحر المحيط[ج ٤/ ٦٨-ج ٥ص ٩٥] وغيرهم، وقد استهل الشيخ الإمام عبد الرحمٰن بن الجوزى في كتابه صفة الصفوة عن كثير من الأعلام غير الصحابة جملة "رضي اللّٰه عنه" مثلا: يقول ضمن ترجمة التابعي علي بن حسين بن علي:

"مات في سنة سبع عشرة، وقيل: ثماني عشرة، وقيل أربع عشرة، و هو ابن سبعين، وقيل: ثمان وخمسين، وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه رضي اللّٰه عنه و أرضاه، وجاء ضمن ترجمة الصحابي: علي بن عبد اللّٰه بن عباس مثل ذلك (راجع صفة الصفوة ص:٣٣١).

وكذلك استعمل العالم الشهير من أهل الحديث النواب الشيخ صديق حسن خان في كتابه التاج المكلل ضمن كثير من الصحابة: رضي اللّٰه عنه، مثلاً يقول عن والده: ولد رضي اللّٰه عنه في ١٢١٠هـ.

ولا شك أن والد الشيخ النواب ما كان صحابياً.

وقال العالم السعودي الشيخ عبد اللّٰه بن عبد الرحمٰن بن جبرين:

ويجوز استعماله للصالحين والعباد والزهاد، من التابعين وأتباع التابعين، من أهل السنة، لكن اشتهر استعماله في مصطلح العلماء للصحابة رضي اللّٰه عنهم، لكن لا يمنع من استعماله لغير الصحابي. (رقم الفتوىٰ: ٣٦٨٠)

أدعو اللّٰه أن يرزق الناقد العقل، ويمتعه بمعرفة تامة للكتاب والسنة (آمين).

التساؤل السابع عشر

قد فضل الشيخ محمد زكريا الكلام في إباحة السبحة أو المسبحة في فضائل الأعمال (انظر فضائل الذكر ص:١٦٣-١٦٥)، **رغم أن هذا بدعة محضة وضلالة تامة عند علماء الحق، ويجوز استعمالها، و لا أصل لها، وهي من مخترعات الصوفية الغلاة، فلتكن الأذكار على الأصابع، فنشر مثل هذه البدعة إتلاف الآخرة وإحباط أعمالها.**

الجواب: لم يكتب العلامة المحدث كلاماً عن المسبحة من عنده، و لم يخترعه، بل قدّم آراء العلماء، وعرض قبل كل شيئ حديث النبي ﷺ، و لا شك أن الناقد أصابه العمى، فليس الخطأ من الإمام المحدث، قد خرّج هذا الحديث (أي النبي بلغ إلى امرأة كانت أمامها حبات تسبح عليها.

ذكر هذا الحديث الأئمة الآتي ذكرهم:

الإمام ابن حبان (كتاب الصحيح: ٨٣٧) والإمام الحاكم (المستدرك ج١/٥٤٧-٥٤٨) والإمام أبوداؤد (السنن ١٥٠٠) والإمام الترمذي (السنن ٣٥٧٨) والإمام النسائي (عمل اليوم واليوم الليلة ٣٩٥٤) والإمام البغوي (شرح السنة ١٢٧٩) وغيرهم.

صححه الإمام الحاكم، ووافق عليه الإمام الذهبي، قال ابن حجر بعد ذكر هذا الحديث: هذا حديث صحيح، ورجاله ثقات، سوى خزيمة، لا يعرف نسبه و لا حاله، و لم يروه سوى سعيد بن أبي هلال، لكن نقله ابن حبان في كتابه "الثقات حسب عادته، وقد صحح الحاكم الرواة الذين لم يجرحوا و لم ينقل منهم مناكير، وشهد بذلك حديث أبي أمامة الباهلي (الأذكار: ص٥٦ طبع ابن كثير).

وقال أيضاً: قال الترمذي: هذا حديث حسن، الأذكار: ٥٦

(انظر للتفصيل الفتوحات الربانية على الأذكار النووية للعلامة محمد بن علان الصديقي عام ١٠٥٧)

وقال العالم المشهور من السعودية الشيخ صالح بن عثيمين: إن إحصاء التسابيح على الأصابع خلاف للأولىٰ، لكن الرفض كل الرفض إطلاق المسبحة بدعة، فقال: "السبحة ليست بدعة في الإسلام، فإن الإنسان لا يعبدها، بل يستعملها في التسبيح والتحميد والتكبير، وهذه ذريعة ووسيلة، وليس سوى ذلك و لا يعتبر عَدُّها على الأصابع بدعةً أبداً (فتاوىٰ علماء الحرمين ص:٥٣٣-٥٣٤ وفتاوىٰ علماء البلد الحرم ص:٤١١-٤١٢)

التساؤل الثامن عشر

ورد في فضائل الأعمال أن الإمام أبا حنيفة صلى الفجر من صلاة العشاء أربعين سنةً، رغم أنه خلاف السنة، وقد نسب إليه أتباع الإمام أبي حنيفة مثل هذه الأقوال، وكذلك إطلاق الإمام الأعظم عليه غلط فاحش، غير أن الإمام الأعظم هو رسولنا العظيم محمد ﷺ.

الجواب: قد مرّ جوابه في التساؤل الثامن، وهذا السؤال أيضاً على سخافة عقل الناقد وجهله، وقد كان في السلف الصالح آلاف من المشايخ والربانيين الذين أفنوا حياتهم في العبادات والتطوعات، فلم يطعن علماء أهل السنة فيهم، و لم يعتبروا عبادتهم مخالفة للسنة، و لم يتهموا بهم للإفراط والغلو في الدين، أسفاً على جهل الناقد أنه يتفوه بمثل هذه الكلمة.

نذكر هنا عدة أمثلة من تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي.

قال الإمام الذهبي عن وهب بن منبه رحمه الله: قال المثنى بن صباح: (تذكرة الحفاظ ج١/١٠١): لبث وهب عشرين سنة، ولم يجعل من بين العشاء والصبح وضوءً (تذكرة الحفاظ ج١/١٠١)

فإذا كان أداء الصلاة عشرين سنة لا يعدُّ غلواً وإفراطاً، و لا

مُضاداً للسنة فلماذا ينتقد أداء الصلاة أربعين سنة، وهل هذه الخلافات مع الحنفية وفضائل الأعمال فقط؟ وهل يكون الإمام الذهبي بريئا من هذه الانتقادات؟ كَلاّ؟

وقال عن المحدث المشهور والتابعي المعروف أبي إسحاق البيهقي: قال أحمد بن عمران الأخنسي أخبرنا أبوبكر بن عياش: سمعت أبا إسحاق يقول: ماأقلت عيني غمضا منذ أربعين سنة. [تذكرة الحفاظ ج ١/ ص ١١٥]

وقال عن صفوان بن سليم الفقيه التابعي:

عن ابن عيينة قال: حلف صفوان ألا يضع جنبه على الأرض حتى يلقى الله، مكث على هذا ثلاثين عاما، فمات، رواه الحاكم. [تذكرة الحفاظ ج ١/١٣٤]

هل يصح هذا الحلف ؟

منصور معتمر محدث مشهور، قال عنه الذهبي: صام منصور أربعين سنة، وقام ليلها، وكان يبكي الليل كله. [تذكرة الحفاظ ج ١/١٤٢]

وسليمان التيمي محدث مشهور، قال عنه الذهبي: قال معتمر: مكث أبي أربعين يصوم يوما ويفطر يوما،ويصلي صلاة الفجر بوضوء العشاء، وعاش سبعا وتسعين سنة. [تذكرة الحفاظ ج ١/ ١٥١]

وفي الأخير نذكر هناك عدة وظائف في اليوم والليلة للإمام النووي: كان يأكل مرة واحدة في يوم وليلة بعد العشاء، ويتناول أحياناً في السحر، ولا يقبل هدايا أحد، قضى سنتين لم يمس بدنه الأرض (الفتح المبين بشرح الأربعين للإمام الهيثمي طبع دار المنهاج جده).

أما عدم نسبة الإمام الأعظم إلى العلامة الإمام أبي حنيفة استناداً على أن رسولنا العظيم محمداً صلى الله عليه وسلم هو الإمام الأكبر والأعظم فهذا دليل على سخافة الناقد، انظروا أننا نسمي سيدنا أبابكر بالصديق الأكبر،و سيدنا عمر الفاروق بالفاروق الأعظم، فنظراً إلى قول الناقد لابد أن يكون سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصديق الأكبر، لأنه يختص من حيث خصائصه بهذه الصفة، فالحذر كل الحذر من استعمال مثل هذه الخطابات للصحابة رضي الله عنهم على حد قوله.

وليعلم أن الإمام ابن تيمية قد لقب الإمام أباحنيفة بالإمام الأعظم في فتاواه،والإمام الذهبي سمّاه بالإمام الأعظم في تذكرة الحفاظ، فلماذا يوجه الناقد سهم النقد إلى الإمام المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، أليس هذا دليلاً على البغض والكراهة؟

فعلى الناقد أن يخرج عن مضايق الجهالة إلى نورالعلم، ولايحبط آخرته بإحداث الفتنة في الأمة، وألتمس من العوام البسطاء أن يُبعدوا أجيالهم من أمثال هؤلاء الدجالين الخائنين، الذين يضلون الناس بلباس التوحيد والرسالة والقرآن والسنة والعلوم الإسلامية.

عافى الله أمة الإسلام، ورزقِ المسلمين الحكمة والفهم، وأكرمهم بنشر الإسلام في أرجاء العالم.

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وآخردعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

المراجع والمصادر

تذكرة الحفاظ	شمس الدين أبوعبدالله أحمد بن عثمان الذهبي
صفةالصفوة	جمال الدين أبوالفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي
التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير	أبوالفضل أحمد بن علي بن حجر
الترغيب والترهيب من الحديث الشريف	عبدالعظيم بن عبدالقوي بن عبدالله المنذري
القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع	شمس الدين أبوالخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي
جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خيرالأنام	محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية
الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطٰن	تقي الدين أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية
كتاب الروح	ابن قيم الجوزية
الأذكار	أبوزكريا محي الدين يحيىٰ بن شرف النووي
طبقات الشافعية الكبرىٰ	تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكى
سير أعلام النبلاء	شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي
طبقات الحنابلة	أبوالحسين ابن أبي يعلىٰ محمد بن محمد
شرح الصدور بشرح حال الموتىٰ والقبور	عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي
تحقيق المقال في تخريج أحاديث فضائل الأعمال	الشيخ لطيف الرحمن
فضائل الأعمال: دراسة أصولية	الشيخ عبدالله المعروفي
فتاوىٰ ومسائل	محمد بن عبدالوهاب النجدي

فهرس العناوين

بين يدي الكتاب	٣
التساؤل الأول	٥
التساؤل الثاني	٧
التساؤل الثالث	١١
التساؤل الرابع	١٢
التساؤل الخامس	٢٠
التساؤل السادس	٢٢
التساؤل السابع	٣٥
التساؤل الثامن	٣٧
التساؤل التاسع	٤٠
التساؤل العاشر	٤٣
التساؤل الحادي عشر	٤٥
التساؤل الثاني عشر	٤٧
التساؤل الثالث عشر	٤٩
التساؤل الرابع عشر	٥٢
التساؤل الخامس عشر	٥٣
التساؤل السادس عشر	٥٦
التساؤل السابع عشر	٥٨
التساؤل الثامن عشر	٦٠
المراجع والمصادر	٦٣